مغامرات في المتحف

الطالبة : غنى عاطف

تنّين النهر

في إحدى قرى الصين على ضفاف نهر هادئ يعيش سكان قرية صغيرة بين المزارع والحقول الخضراء ، فالمطر ضيف عزيز يكاد لا يفارق القرية. جميع أهل القرية من نساء ورجال وفتيات وشبّان يعملون في الزراعة والحصاد وتربية المواشي ويعتاشون منها. وفي هذه القرية تعيش (جيا). فتاة شابّة تعمل مع عائلتها في أرضهم، ولكن على غير عادة الشّابّات والشبّان من عمرها كانت تهوى مخطوطات جدّها القديمة وتغوص من خلالها في عالم من الحكايات الساحرة والأساطير الشيّقة التي يبدو لها أنها تبدأ ولا تنتهي، والأساطير التي تحكي عن التنانين تجذبها بشكل خاص وتستأثر باهتمامها . وكانت (جيا) تحب الحديث مع جدّها عن ما تقرؤه في مخطوطاته ، وسؤاله عن ما يصعب عليها فهمه.

وفي إحدى أيّام الربيع الهادئة،كانت (جيا) جالسة تحت شجرة كبيرة كانت تحيط بمنزل عائلتها.كانت أشعة الشمس الساطعة تلوح عبر السحب الكثيفة تخترق الأفق، منعكسة على سطح مياه النهر النقية، ورائحة الأزهار تعبق في الأجواء. انغمست (جيا) في قراءة مخطوطات جدها القديمة التي تحتوي على أسرار منسية، بينما جلس جدها العجوز بجانبها على مقعد خشبي قديم، يراقبها بحنان. كان قلب الجد مليئا بالأسرار التي نشأت عبر الأجيال وما وراء الأساطير والتماثيل القديمة في بلدتهم. في كل مرة تكتشف (جيا) شيئًا جديدًا، تشعر بأنها تكتشف جزءًا من روح جدها العميقة، وتلامس بعضًا من أفكاره ورؤاه.

سألته (جيا) يومًا وهي تطوي إحدى المخطوطات القديمة: "جدي، حدّثني عن اسطورة تنّين النهر!" صمت الجد لبرهة. وبعد قليل، ردّ الجد قائلا " كنت في العاشرة من عمري عندما صادفت تنين النهر يا ابنتي، كان المشهد غريباً وغاية في الروعة، لم أكن أعلم حينها إن كان ما أراه حقيقة أم خيالاً. كنت أول من يشاهد ذلك الكائن الأسطوري الذي كان مختبئا داخل مياه النهر المتلألئة. وكأنني كنت في حضرة شيء لا يمسّه الزمن. لم أخبر أحداً من أهل القرية بما جرى، ليس لأنني لم أرغب في ذلك، بل خوفاً من أن تثير تلك القصة قلقهم أو تزعزع هدوء حياتهم ، كما خفت أن لا يصدقني أحد. لكنك اليوم، يا ابنتي، مصرّة على أن تعرفي الحقيقة، ولهذا سأكشف لك ما حدث معي في ذلك اليوم الذي لا يُنسى. بدأ إحساس الشوق يتدفق في قلبي والحماسة تتصاعد شيئا فشيئا في نفس (جيا) لسماع قصة جدها.

بدأ الجد بسرد الأحداث قائلا: كنت ألهو على ضفة النهر كما يلهو أي طفل في عمري، و فجأة و أنا أحاول أن أجمع بعض الزهور لأعطيها لوالدتي فإذا بكائن ضخم يخرج من قاع النهر و يصدر صوتا عميقا غريبا. تضاعف حجم عينيً و جف حلقي من هول ما رأيت تخشبت قدماي. لم أصدق ما أرى ، هل هذا حقاً هو التنين الذي يقال إنه حارس النهر !؟ لطالما اعتقد الناس أن هذا النهر هو مصدر الرزق للقرية و أن مياهه التي تتدفق بين الصخور ما هي إلا دقات قلبه الذي ينبض بالحياة . كان جسد التنين طويلا ومهيباً يلتف حول مجري النهر، رأسه المرتفع وقرونه المتشابكة تعكس عظمة كائن أسطوري بلا حدود. وعيناه لامعتان كحبتي ياقوت حمراوين ، تبدوان وكأنهما تراقبان كل من يقترب منه. توسعت عينا (جيا), تحاول أن ترسم صورة لشكل التنين في ذهنها. أكمل الجد حديثه قائلا:اقتربت من التنين قليلا, لست مدركا بالضبط ما الذي دفعني للاقتراب منه ربما فضول الأطفال ,على الرغم من حجمه الهائل المخيف. شعرت بأن شيئا

سحبني إلى جانب التنين . بدأ قلبي ينبض بجنون وكأنه يسابق الزمن. " لا تخف يا جوانغ , فأنا لن اؤذيك قط. كم تبلغ من العمر يا صغيري ؟ " قال التنين " إني أبلغ الثامنة من عمري" أجبته بصوت مرتجف لا يكاد يُسمع.

قال التنين"تعال ! اقفز على ظهري سآخذك في رحلة ممتعة الى أماكن لم يصلها أحد يوما" لا أدري من أين أتتني الجرأة و وثبت وثبة عالية و جلست بين جناحيه العملاقين لتبدأ رحلة هي أقرب للخيال . كان سطح النهر يلمع تحت ضوء الشمس الساطعة, انزلقنا الى أعماق النهر بسرعة جنونية. بدأ العالم من خلفي يتلاشى, والضوضاء التي كانت تعم القرية لم تعد تُسمع . بدأ العالم وكأنه انقلب رأسا على عقب. رأيت بابا لامعا ذهبيا، اندفعنا من خلال الباب و فجأة اختفى النهر الذي سافرنا من خلاله, لأجد نفسي في عالم مستقبلي لا يشبه أي شيء رأيته في حياتي. كان منظرًا يفوق التصور. "

" هيا انطلق يا جوانغ, اكتشف عالمنا المستقبلي وخذ وقتك ولا تكن على عجلة. سأنتظرك هنا" قال التنين بصوته الرخيم. اخذت امشي في أرجاء المدينة الخيالية, وكلما توغلت أكثر، اكتشفت أن العالم الذي نعيش فيه في الحاضر لا يشبه العالم المستقبلي الذي اكتشفته اطلاقا. المباني الضخمة الشفافة التي تبدو وكأنها تنساب من السماء، متشابكة مع الغيوم, والشوارع التي تتقاطع مع تلك المباني العالية كانت مزودة بالروبوتات التي كنت أقرأ عنها في القصص فقط. منذ الوهلة الأولى ، جذبتني هذه الحداثة لأجد قدميّ تقوداننني إلى داخل المدينة. كانت الشوارع مليئة بالأجهزة التي تعمل على التكنولوجيا المتقدمة,بالاضافة الى أنها ساعدتني من خلال إعطائي بعض التعليمات للتوجه إلى الأماكن الأكثر تقدما ورقيا .

كانت (جيا) تستمع إلى قصة جدها و خيالها يسبقها في تصور المشاهد التي يحكيها. كانت البسمة ترتسم على وجهها و الحماسة تعلو محياها.

قال الجد :أتعرفين يا جيا ؟ تمنيت لو أن أحداً من اهل القرية صاحبني في هذه الرحلة ليرى المركبات التي تسير بسرعة الصاروخ و يرى معي تلك الأجهزة الغريبة التي تنقلك من مكان الى آخر في لحظات .

لم أخبر أحدا عن تفاصيل رحلتي هذه لأنه لا يمكن أن يصدقوني. انتهى ذلك اليوم الغريب عند حلول غروب الشمس. عدت إلى تلك البوابة الذهبية حيث كان ينتظرني تنين النهر. أقلني من بوابة المستقبل ليعيدني إلى قريتي الجميلة الصغيرة حيث الهدوء و البساطة. ودعت صديقي التنين و سألته كيف لي أن أراه مرة أخرى ، فأجابني " جوانغ يا صغيري، أنا لا أظهر سوى مرة واحدة كل مائة سنة و قد حالفك الحظ في أن تكوني متواجدة ساعة خروجي من النهر" ثم اختفى بسرعة داخل مياه نهرنا الجميل و لم يظهر منذ حينها.

هنا قفز قلب (جيا) فرحا فهي تعلم أن جدها على مشارف المئة عام من عمره الآن، أي أن التنين سيظهر بعد حوالي ثماني سنوات . و سيكون عمرها حينها ما يقارب الثمانية عشر عاما.

فهم الجد سرَّ لمعان عيني (جيا)، و ابتسم ابتسامته الحانية قائلا : " عندما تذهبين في رحلتك مع التنين تذكري أن ما سترينه سيكون مختلفا عما رأيته أنا ، سيكون تطورا مضاعفا و تكنولوجيا أكبر و أعمق مما رأيته في رحلتي فبعد مئة عام لابد أن كل شيء تغير يا صغيرتي"